كتب قومية

الكتاب ٣٨

محمد الخامس

وكفاح المغرب العربي

بقلم

فؤاد مصطفى

كتب قومية

الكتاب ٣٨

محمد الخامس

وكفاح المغرب العربي

بقلم

فؤاد مصطفى

تاريخ المغرب
Storiamaroc

للمزيد من الكتب:

www.storiamaroc.com

Storia Maroc تاريخ المغرب

https://www.facebook.com/pages/Storia-Maroc-460853327358124/تاريخ-المغرب

Followme!

@MarocStoria

https://twitter.com/MarocStoria

تاريخ المغرب
Storiamaroc

هذا الكتاب

ان مهر الحرية غال وثمين ، وان طريقها شاق وطويل ، ولكنها أمنية كل شعب ورجاء كل أمة . وما من شعب نال حريتـــه على طريق مفروشة بالورود ، كانت رحلته اليهـــا نزهة يروح بها عن النفس ، وانما نالها على طريق وعرة محفوفة بالمخاطر والاشـــواك تجعل رحلته عليها مشاقا ومتاعبا وجهادا .

والشعب العربي في المغرب ، شعب استطاع ان ينتزع حريته بالكفاح المرير ، والنضال القاسي ، خاض اليها بحارا من الدم ، وقدم على مذبحها العديد من الشهداء ، وكان في كفـــاحه صلب العود ، شديد المراس ، قوي الشكيمة حتى استطاع أن ينتزعها من أيدي عدو غاشم وخصم عنيد .

ولقد أنبانا التاريخ ، وما اصدق حديثه : ان كثيرا من الملوك كانوا عقبة كأداء في سبيل تحرر شـــعوبهم ، وكانوا عونا للخصم ، وربيئة للعدو ، يحكم من خلالهم ويبطش بايديهم ، ويشوه الحقائق بالسنتهم ، ويتخذ منهم أدلاء الى مواطن الضعف ومواضع الثغرات . حتى أصبحوا رمزا للخيانة وشعارا للعبودية .

ولكن محمدا الخامس كان طرازا للملوك فريدا ، وكان معـدنه مغايرا لكل من هم على شاكلتـــه ، كان رمزا للكفاح ورمزا للتحرر ورمزا للوحدة .

لقد حاد عن شرعة الملوك حين رفض أن ينصـــاع الى تهـديد أو وعيد ، وأبى الا أن يكون على ذروة النضال وقمة التضحية حتى ضحى بالعرش ، واستعذب النفي ، ولم يقصد به عن مناصرة شعبه ومؤازرة مواطنيه جاه ولا سلطان .

لقد كان محمد الخامس بطلا في حرب التحرير ، قاوم السياسة الاستعمارية التي كانت تهدف الى شطر الشعب العربي في المغرب الى برير وعرب ، واضفى على المجاهدين ظل حمايته وتاييده على الرغم من أن الاستعمار الفرنسي حاول مرارا أن يصرفه عن تاييـد الحركة الوطنية ومقاومة الحماية وسخر من الاقامة العام الفرنسية حين طلبت اليه أن يتبرا من حزب الاستقلال وان يطرد اعضـــاء الديوان الملكي والمتصلين بالحركة الوطنية وهددته بانه اذا لم يصدع بامرها لم يكن امامه مفر من التنازل عن العرش ، ثم البت عليـــه

فريقا من المرتزقة ومن الاقطاعيين العملاء على رأســـهم خائن لم يجد حرجا فى أن يكشف قناع الخيانة عن وجهه فبدا سافرا ذلك هو (تهامي الجلاوى) الذى زحف بفريق من المأجـورين يريد أن يقوض العرش وان يغتصب لاسياده الملك .

ولن تغفــل ذاكرة التاريخ عن ذلك الحـــادث المشرف فى ٢٠ اغسطس سنة ١٩٥٣ حين توجه المقيم العام الفرنسى الجنرال جيوم الى قصر السلطان وعرض عليه التوقيع على وثيقـــة التنازل عن العرش لابنه الاصغر او ابعاده بالطائرة الى ((كورسيكا)) ولكن محمد الخامس ، الوطنى الحر المكافح ، والملك الذى خالف شرعـة الملوك رفض الوثيقة وفضل المنفى .

وجاء الاستعمار بسلطان جديد غير شرعى ، (هو ابن عرفة) ظانا أن الشعب العربى فى المغرب يقبل أن يستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير وفاته أن محمد الخامس لم يعد ملكا يحميه دستور وتمنعه سلطة ، ولكنه غدا رمزا لحرية شعبه وشعارا لكرامة مواطنيه وأملا للثوار من مواطنيه .

أجل ان ثورة الشعب العربى فى المغرب ابت أن يخبو أوارها المشبوب وابت أن تضع سلاحها المشروع وأن تحط رحال جهادها حتى تزول دولة الخونة والعملاء ، وحتى يرجع محمد الخامس الى عرش حمته جموع الشعب بالسلاح وروته بالدماء .

عاد محمد الخامس ليقــود شعبه فى معركة البناء ، كما قاده فى معركة الاستقلال وتحقيقه له السلم وخاض من أجله الحرب .

والكتاب الذى بين أيدينا ينشر على صفحاته كفاح محمد الخامس من أجل الحرية والكرامة والاستقلال ، ويقدم مثـــلا حيا للملوك الثائرين وما أقلهم فى التاريخ .. ولسان حاله يقول :

وتشـــبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبــــــه بالرجال فلاح

نقدمه لقراء العربية فى اللحظات التى يلتقى فيها محمد الخامس وهو على ما وصفنا برجل كان دعامة لمحمد الخامس فى منفاه ، وكان عونا لشعب محمد الخامس فى منفاه وسوف يكون عند حسن ظن محمد الخامس فى مسعاه .

انه جمال عبد الناصر باعث القومية العربية وسند الاحرار فى كل مكان .

والله ولى التوفيق .

لجنة كتب قومية

الفصل الاول

انه ملك .. ضحى بالتاج .. فعاد الى وطنه على عرش القلوب

انه عربي ... رفض أن يكون تابعا فاضحى علما ورائدا من رواد القومية العربية

انه مكافح ... طلب الموت .. فكانت له الحياة ..

وفى موكب الكفاح العربى .. وفى خضم الصراع ما بين القومية العربية والاستعمار ... جاهد رجل عربى .. وضرب بالتاج والعرش عرض الحائط .

وتآمر عليه الاستعمار وأعوانه فى المغرب وخطف الاستعمار الملك البطل ولكنه عاد بقوة الشعور الشعبى الوطنى وانهزم الاستعمار .. واستقل الوطن المغربى .. وها هو الملك العربى الاصيل يواصل كفاحه من اجل تحقيق التضامن العربى .

واذا كان تاريخ الملكية قد تلطخ فى كثير من البلاد ــ واستسلم الجالسون على العروش لشهواتهم واستمرأوا النفوذ والسلطان واذلوا الشعوب وانتهكوا الحرمات ، فقد سلم تاريخ الملكية من ذلك فى المغرب على يد الرجل العظيم محمد الخامس .. ولقد ضحى كثير من الملوك بشعوبهم فى سبيل عروشهم . اما الملوك الذين ضحوا بعروشهم فى سبيل شعوبهم فما نحسبهم الا أقل من القليل ولكن لامجال للشك فى أن محمد الخامس كان فى المقدمة وكان فى الطليعة .

ان اسم محمد الخامس تردد فى العالم العربى وأصبح معه معروفا ، ولذلك لانرى داعيا للافاضة فى التحدث عن شخصه وشخصيته ذلك لان كفاحه وماضيه وحاضره قد تحدثوا وأفاضوا .

((محمد الخامس .. البطل العربى المجاهد))

((من أجل المغرب العربى ...))

((من أجل التضامن العربى ...))

((ومن أجل العزة والحرية والكرامة ...))

تلك هى الشعارات التى يؤمن بها .. محمد الخامس ومحمد

البطل ومحمد العربى لقد جاهد الرجل العربى وكان جهاده دائمـا فى الماضى وفى الحاضر صورة صادقة وترجمـة امينة عن الايمان بالوطن العربى الكبير وبرسالات التحرر الشامل وبالتضامن العربى الموحد .

ان محمد الخامس عندما بارك التحرر الوطنى فى المغرب ضرب اروع الامثال ..

ان محمد الخامس يوم حسب الاستعمار الفرنسى انه قادر على التآمر عليه والاطاحة به بعيدا عن المغرب كان واهما .

لقد غربت شمس الاستعمار الفرنسى الفاشم عن المغرب .

ولقد عاد الملك الى بلاده .. نعم عاد اشد قوة وأصلب عودا وانتصر المغرب العربى فى كفاحه وفى نضاله .. واشرقت شمس الحرية .. ولكن محمد الخامس الوطنى العربى تابع خطاه وبارك قضايا الحرية والاستقلال فى كل مكان ليس فقط فى اركان العالم العربى ولكنها فى كل بقعة تصرخ من نير الاستعمار وتتوجع من ضربات الاستغلال والاستعباد .

ان محمد الخامس قصة من قصص ابطال العروبة فى هـذا الزمان .. انه ملك مجاهد فى سبيل المغرب ، والجزائر وكل جـزء من الوطن العربى . .انه الرجل الذى يؤكد التضامن العربى فيسافر ويتصل ويتوسط من اجل العرب ومن اجل المشكلات العربية ومن اجل المستقبل العربى المتحرر ..

لذا كان لزاما أن نتحـدث عن محمـد الخامس الذى يزور جمهوريتنا ..

استقلال المغرب
فى عهـد
محمـد الخامس

فى ٣٠ مارس ١٩١٢ ، بعـد سلسلة من الدسائس والتدخلات الاجنبية ، فقد المغرب استقلاله ومقامه الذى كان يحتله فى صف الدول المتمتعة بسيادتها الكاملة . ومنذ ذلك التاريخ والشعب المغربى المغلوب على امره ما انفك يكافح للدفاع عن كيانه واسترجاع حريته تارة علانية وتارة فى طى الخفاء . وقد بقى هذا الكفاح مجهولا فى

الخارج ، من جراء حالة الحصار الشديد المستمر المضروب على المغرب . وان عشرات الالاف من المغاربة ، فى الجبال والسهول ، استشهدوا فى سبيل انتصار المطامح الوطنية .

وشاءت ارادة الله ان يعود للمغرب العربى حريته فى عهد الملك محمد الخامس العربى المناضل .

محمد الخامس والتعاون العربى

ان الملك محمد الخامس .. رجل وبطل عربى .. يؤمن بالعروبة والتضامن العربى يؤكده دائما ويبرهن عليه لا بالاقوال وانما بالاعمال والكفاح .. انه البطل العربى المجاهد .

ان الاعوام التى نعيشها اثبتت أن العالم العربى جسد واحد من المحيط الى الخليج وقد مرت على القومية العربية فى المغرب مناسبات كثيرة خالدة مباركة ، فكانت زيارة ولى العهد الامير الحسن للجمهورية العربية المتحدة خطوة نحو التضامن الحقيقى والتعاون الكامل الذى باركه الملك محمد الخامس ثم كانت زيارة الرئيس عبدالله ابراهيم الى الجمهورية العربية المتحدة تسير فى نفس الاطار . ونذكر ايضا اجتماع الدار البيضاء لجامعة الدول العربية .

وهانحن .. نشهد ما يفعله القادة الاحرار فى عهد الحرية والاستقلال وكيف تنهار الحدود المصطنعة التى اقامها الاستعماريون بين الاخ العربى واخيه .. وهذه يد محمد الخمس تمتد لتصافح التضامن العربى من أجل العزة والحرية والكرامة .

وها هى زيارة المجاهد الكبير محمد الخامس اسطع دليل واقوى برهان على مدى حرصه على التضامن العربى .

محمد الخامس والامانى المغربية

ان ما قاساه الشعب المغربى من المحن والنكبات جعله يؤمن بان ازدهار مؤسساته وانظمته الوطنية وانتشار الحريات الديموقراطية فيه وتطبيق الاتفاقات الدولية التى وضعتها هيئة الامم المتحدة لفائدة الانسانية كل ذلك يتنافى مع الاحتفاظ بنظام الحماية .

وقد قاوم الشعب المغربى بجميع ضروب المقاومة الغزو والاستعمار المتستر خلف مظاهر الحماية وانتهت به مقاومته الى .

(أ) بيان ١١ يناير سنة ١٩٤٤ الذى تجلت فيه ارادته وتصميمه على الغاء الحماية واستقلال البلاد واقامة نظام ملكى دستورى

(ب) ميثاق طنجة المبرم فى تاريخ ٩ ابريل من سنة ١٩٥١ بين الاحزاب الوطنية .

وقد تعهدت الاحزاب الوطنية فى هذا الميثاق بان توحد جهودها وتعمل جميعها فى دائرة المبادىء التى قررتها واتفقت عليها كاساس لبرنامجها ونشاطها فى الحاضر والمستقبل .

وتنحصر هذه المبادىء فيما يأتى :

اولا : ان تعمل هذه الاحزاب جميعا لاستقلال المغرب استقلالا تاما فلا يقبل أى حزب مبدأ الانخراط فى الوحدة التونسية .

ثانيا : انه لا غاية يسعى اليها قبل الاستقلال .

ثالثا : لا مفاوضة قبل اعلان الاستقلال .

رابعا : لا مفاوضة مع المستعمر فى الجزئيات .

خامسا : كل عمل يؤيد توجيهات الاقامة العامة ضد جلالة الملك محمد الخامس يعتبر خرقا لمبدأ الميثاق .

سادسا : تعاون مراكش مع الجامعة العربية وفى دائرتها قبل الاستقلال وبعده واجب قومى .

سابعا : يلتزم الموقعون ان لا يقبلوا تأليف جبهة مع الشيوعيين المغاربة .

ثامنا : تؤسس الاحزاب الموقعة لجنة اتصال وتشاور مع الاحتفاظ لكل حزب بحريته ضمن هذا الميثاق .

اما موقف الحكومة المغربية من نظام الحماية فهو يتجلى لا من خلال التصريحات الرسمية التى ادلى بها الملك محمد الخامس فى مناسبات مختلفة فقط بل ايضا من المحادثات التى أجراها جلالته رسميا مع الحكومة الفرنسية اثناء زيارته لباريس فى اكتوبر سنة ١٩٥٠ وما بعدها حتى كتب النصر فى النهاية للمغرب واستقلت فى بداية عام ١٩٥٦ .

محمد الخامس

من

تصريحاته الوطنية

بعض التصريحات الرسمية لجلالة الملك

ادلى صاحب الجلالة فى طنجة بتاريخ ١٢ ابريل سنة ١٩٤٧ امام السلك الدبلوماسى الذى جاء يحيى جلالته بالتصريح التالى :

« لقد شارك المغرب فى الحرب الاخيرة – كما تعلمون – بأبنائه وبجميع ما لديه من وسائل الى أن تم النصر النهائى . وقد اخذت الشعوب اليوم تطالب بحقوق متلائمة مع العصر الحاضر . فمن العدل أن ينال الشعب المغربى حقوقه المشروعة وان تتحقق مطامحه التى هى مطامح جميع الشعوب » .

كما صرح جلالته أمام الصحفيين بنفس التاريخ فى طنجة :

« ان المغرب حريص على ان تكون له فى المستقبل علاقات ودية مع جميع البلاد التى دافعت عن الحرية وما تزال تدافع عن قضيتها كما يود من صميم فؤاده ان ينال حقوقه كاملة . فمن البديهى ان المغرب – وبينه وبين بلاد الشرق العربى روابط متينة – يود ان تزداد تلك الروابط توثقا وتماسكا لاسيما وان الجامعة العربية أصبحت اداة مهمة تقوم بدور عظيم فى السياسة العالمية » .

وجاء فى خطاب جلالته للشعب فى طنجة ايضا :

« لقد استيقظت الامة وتنبهت لحقوقها وسلكت لطرق مجدها انفع طرق . . ان حق الامة المغربية لا يضيع ولن يضيع . »

وفى بلاغ أصدرته الكتابة الخاصة لصاحب الجلالة بتاريخ سبتمبر سنة ١٩٤٧ نجد ما يأتى :

« ان صاحب الجلالة لا يعارض مطلقا فى منح رعاياه الاوفياء حق الانتخاب بل انه ما انفك يبين بان هذا الحق يجب ان يمنحوه بالشروط المعروفة طبق قانون عادل . فجلالته يعلق أهمية عظمى على أن يكون حق الانتخاب على درجة واحدة وان يكون مماثلا فى كل شىء لنظام الانتخاب عند الشعوب الحرة . »

وفى خطاب العرش لسنة ١٩٤٧ قال جلالته :

« اننا لم نحد عن الخطة التى سطرناها لانفسنا فى خدمة بلادنا والسعى وراء مصلحة شعبنا والاخلاص كل الاخلاص لمبدأ الاسلام الديمقراطى وبذل كل مواهبنا حتى ينال رعايانا المخلصون ما يحقق لهم جميعا من ان يكونوا أمة حرة تتمتع بكل حقوقها الشرعية وتحظى كأمة مسلمة بوحدتها وسيادتها وتتربع مكانها الذى تستحقه بين كل الدول الحرة المتمتعة بكل ما يجب لها من الحقوق » .

وفى خطاب العرش أيضا لسنة ١٩٤٩ :

« نحن متيقنون أن لا شىء يضمن المصالح العامة مثل النظام الديموقراطى الذى سن الاسلام مبادئه الاساسية قبل أن يتخذ شكله الحديث » .

وفى خطاب العرش لسنة ١٩٥٠ :

« ولم يغب عنا لحظة واحدة ان أفضل حكم ينبغى إن تعيش فى ظله بلاد تتمتع بسيادتها وتمارس شئونها بنفسها هو الحكم الديموقراطى الذى تقوم عليه الدول المعاصرة » .

محادثات باريس اكتوبر سنة ١٩٥٠ :

كان موضوع محادثات باريس خاصا بالقضية المغربية . فقد طالب صاحب الجلالة الحكومة الفرنسية بالغاء عقد الحماية المبرم فى سنة ١٩١٢ ولكن الحكومة الفرنسية رفضت ذلك رفضا تاما كما يتضح ذلك من الفقرة الاتية من خطاب العرش سنة ١٩٥٠ :

« وانكم لتعلمون علم اليقين مبلغ سهرنا على مستقبل المغرب وحرصنا على رعايةمصالحه وحقوقه والاحتفاظ بمقوماته وكيانه » .

ولهذا فقد جعلنا مقصدنا الاكيد ـ بعدما لبينا الدعوة الجميلة التى وجهها لجنابنا الشريف فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية لزيارة فرنسا ـ ان نعرض القضية على من لهم الحل والعقد من رجال الدولة الفرنسية ونسعى معهم فى الوصول الى الحل الذى يرضى الرغائب ويحقق المطامح ولم يكن قط هدفنا من المحادثات السياسية التى أجريناها بفرنسا ان نظفر بتقوية سلطتنا لغاية شخصية وانما قصدنا بمساعينا وجهودنا صالح البلاد ورقيها وتقدمها . لقدعرضنا مطلبنا على من يهمهم الامر من رجال الدولة الفرنسية بالكتابةوالقول واضفينا عليه حلة الوضوح والبيان وذلك بان رغبنا فى ان نبنى علاقات

المغرب بفرنسا على أسس جديدة وان يقع الاتفق بيننا وبينها على الغاية من تلك العلاقات على أسباب الوصول اليها بمعونتها . وعرضنا هـــذا المطلب فى دائرة الود والصداقة وما زلنا نؤمل انه سيظفر فى مستقبل الايام بالاذان الصاغية والقبول الجميل لاننا مقتنعون بان الاساس الذى ترتكز عليه العلاقات السياسية بين الدول يجب ان يجـــرى على سنة الكون ويساير تطور الاحـــوال ويراعى تبدل الظروف » .

وهكذا فنظام الحماية لم ينجح فى شىء سوى اثارته السخط عليه من الامة المغربية حكومة وشعبا . وفرنسا لا يمكنها ان تستمر فى فرضه على المغاربة الا بالقوة والعنف . الامر الذى يجعل البلاد تعيش فى حالة دائمة من الهيجان والاضطراب ويخل بالامن العـــام وبطمأنينة السكان اخلالا خطيرا .

اهتمام محمد الخامس بالاوضاع الدولية

يتجلى اهتمام محمـــد الخامس بالاوضـــاع الدوليـــة السنيمة وبالخطوات التى تقطعها القومية العربية فى حقها المقدس فى الانباء التالية وهذه الانباء تتحدث بنفسها وفى غنى عن كل بيان .

(فى نبأ من الرباط بتاريخ ١٨ اكتوبر ١٩٥٩)

أمريكا تستعد للجلاء عن قواعدها فى المغرب

تشكيل لجنة عسكرية مشتركة لرسم خطة الجلاء

أبدت الولايات المتحدة استعدادها للجلاء عن قواعدها الجـوية الخمس فى المغرب خلال السنتين القادمتين .

وتقول صحيفة « التحرير » الوثيقة الصلة بالدوائر الحكوميــة وهى التى نشرت هذا النبأ ان الدوائر الامريكية طلبت الى الســيد عبد الله ابراهيم رئيس وزراء المغرب وهو يقوم الان بجولة فى أمريكا ان يتخذ التدابير اللازمة لتشكيل لجنـــة مشتركة من الفنيين العسكريين لرسم خطة الجلاء .

وقالت الصحيفة ان رئيس وزراء المغرب لم يعين موعدا محدداً للجلاء وان كان قد اكد انه سيتم فى اقرب وقت ممكن .

والمعروف ان فى المغرب اربع قواعد جوية وقاعدة بحرية جوية وقد بدات المفاوضات الخاصة بتقرير مصـــيرها فى شهر مايو عام ١٩٥٧ ولكنها تعثرت منذ ذلك الحين .

رسالة للرئيس من ملك المغرب

تسلم الرئيس جمال عبد الناصر رسالة شكر من الملك محمد الخامس على دعوة جلالته لزيارة الجمهورية العربية المتحدة ، واعرب الملك عن سروره بهذه الدعوة الاخوية لزيارة بلد شـقيق له مكانة خاصة فى نفســه . وقال الملك : ان زيارته ستكون حسب المتفق عليه فى الاسبوع الاول من يناير المقبل .

وزيارة ملك المغرب لها اهمية خاصة نظرا لان الجمهورية العربية هى اول بلد عربى يزووه الملك محمد الخامس بعد الاستقلال وقبل الاستقلال ، ويصحب جلالته غير حاشيته نجله الثانى الامير عبد الله ورئيس وزرائه السيد عبد الله ابراهيم وعـــدد من قوات الجيش والطيران المغربى .

قضية الجزائر

حكومة الجزائر رفضت وساطة اى دولة بينها وبين فرنسا على اساس مشروع ديجول الكامل او على اساس بيان وزير الخارجيـة الفرنسـية الخاص بالمفاوضات على وقف القتال فقط وكان هـــذا الرفض يقصد به ايقاف تصرفات غريبة من ابن الحبيب بورقيبه الذى وصل فجأة الى باريس بتعليمات من والده ولم تنجح هذه التصرفات فى وضع العقبات امام ولى عهد المغرب الذى ذهب مبعوثا من الملك محمد الخامس ليقنع ديجول بضرورة التفاوض مع الحكومة الجزائرية لتسوية كافة جوانب المشكلة ولا تزال الاتصالات مبذولة من جانب المغرب لاقناع ديجول بالاذعان للامر الواقع .

ان المغرب قوة فعالة نامية للقوميـــة العربية وركن اساسى فى التضامن العربى وفى كفاح العرب المشترك ضد اعداء القومية العربية وفى الجهد الموحد الذى يبذلونه لتعويض ما اصابهم فى عهود التبعية والتخلف وبناء المستقبل الذى ضحى من اجله الاباء والاجداد ..

الفصل الثاني

تاريخ المقاومة المغربية ضد الاستعمار

وكان الشعب المغربي في عراك منذ القرن التاسع عشر مع الاستعمار الاوروبي وضد حركة التوسع الفرنسي والاسباني وقد تم تطويق المغرب باستيلاء فرنسا على الجزائر وشنقيط واستقرار الاسبان بسواحل الريف فلم ير المغرب بدا من خوض غمار المعركة لضمان وجوده وكان هذا الكفاح سليما في بدىء الامر عن طريق الدبلوماسية فقدر لمغرب الانتصار في هذا الميدان ، غير ان الحصار السري الذي ضرب على المغرب من طرف جاريه الاقربين فرنسا واسبانيا لم يسمح للدولة الشريفة بأن تجدد نظامها العسكرى الى حداثه عندما صوبت فرنسا نيران مدافعها على الدار البيضاء ووجدة اضطر المغرب المهاجم ان يدافع عن نفسه بسلاح غير متكافىء مع اسلحة الخصم .

وقد اغتنم الفرنسيون عامل المفاجأة فوطدوا اقدامهم بالدار البيضاء ثم احتلوا تدريجيا السهول المغربية الممتدة جنوبي المدينة وشرقيها ثم احتلوا فاس عاصمة المغرب عام ١٩١١ وفي ٣٠ مارس سنة ١٩١٢ اجبر السلطان مولاى عبد الحفيظ على امضاء معاهدة الحماية .

محمـــد الخامس توج تاريخ الكفاح المغربي

فماذا عسى ان يكون موقف الشعب المغربي ؟

ايخضع ام يحمل السلاح ؟

ايقبل بدون مقاومة ولا صمود الانحطاط من حالة الاستقلال الى حالة العبودية ؟ لا ان محمد الخامس كان ولا زال الوطني الغيور ؟

ان الجواب عن هذه الاسئلة يسهل على من عرف طبيعة المغاربة وعاش بين ظهراني تلك القبائل المغربية الابية الشديدة التي تغار الى النهاية على استقلالها .

وان استقاء بعض الشواهد من كتاب « البربر المغاربة واخضاع الاطلس الاوسط » الذى نشره الزعيم العام الحالى الجنرال كيوم — لاكبر دليل على ذلك .

فقد اكد الجنرال كيوم قائلا : ان الاحساس السائد عند البرابرة

والذى تنمحى امامه جميع الاحساسات الاخرى هو هيامهم الفطرى بالاستقلال وان كراهيتهم الغريزية لكل سيطرة لتفسر لنا ما ابدوه من مقاومة يائسة لكل توغل اجنبي ورغم شدة تعلق البربرى بمتاعه فهو لا يتردد مع ذلك فى التضحية به كله فى هذا الكفاح فكل واحد يدافع عن بلده الى النهاية بشدة تدعو الى الدهشة ولكن تثيرالاعجاب فان البربرى يساهم فى النضال بمجرد ما يبلغ سن حمل السلاح واحتقاره للموت يزيد فى انفته فهو دائما مستعد للدفاع عن تراب قبيلته والهبوب للغارة تلبية لنداء اخوانه انه محارب لا نظير له لانه احسن محارب فى افريقيا الشمالية بدون نزاع .

المقاومة السياسية :

وبينما كان المقاومون المسلحون المغاربة يواصلون كفاحهم فى استماتة واستبسال رغم عدم تعادل سلاحهم مع الخصم بداسكان النواحى المحتلة ينظمون انفسهم لاستئناف الكفاح فى شكل اقل ظهور ، ولكن ليس اقل مفعولا ، هنالك نشأت حركة وطنية مغربية قامت ببعث العزائم وانهاض الهمم واستمد قادتها ايمانهم واقدامهم من هذا التاريخ الحديث الحافل بالالام والمجد فقد شاهد معظمهم كيف فقد المغرب استقلاله وان الذكريات التى يعيشها الناس لاعظم قوة توحدهم ، فقد قال ذلك رونان عندما لاحظ بحق : « انللاحزان فى ميدان الذكريات الوطنية مفعولا اقوى من مفعول الانتصارات لانها تعرض واجبات وتوجه المجهود المشترك » .

وهكذا تتجلى الوطنية المغربية فى مظهرها الحقيقى لا كحركة عدائية للاجانب ولا كحملة ضد فرنسا ، ولكن كرد فعل عادل لشعب يكافح ليعيش عيشة الكرامة والعدل والحرية » .

الظهير البربرى :

والظهير البربرى هو الذى كان مبدا المظهر الجديد الذى اتخذته الحركة الوطنية المغربية فقد اصدرت السلطات الفرنسية ـ خلال عهد الوصاية التى كانت فى السنوات الاولى لجلوس السلطان الحالى على العرش ـ مرسوما يحمل تاريخ ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ ويرمى الى فصل سكان المغرب المدعوين خطأ برابرة عن الشريعة الاسلامية التى تنطبق عليهم منذ عدة قرون .

وبهذا القرار الجديد وقع فصل ثلاثة اخماس سكان المغربعن

القوانين التى يصدرها السلطان المؤتمن على السيادة الوطنية فلم يكن اذن شك فى ان هذا كان افتياتا على امتيازات السلطان وتمزيقا للوحدة المغربية الى كتلتين متعارضتين : العرب والبربر .

وبالجملة فان الثورة ضد محاولات تمزيق الوحدة المغربية اتسع نطاقها سواء داخل المغرب أو فى باقى اجزاء العالم الاسلامى الى حد ان حكومة باريس اضطرت بعد حيرة دامت اربع سنوات الى تعديل بعض مقتضيات الظهير البربرى .

وبدلا من ان تستفيد السلطات الفرنسية من الحوادث المنصرمة فتملا الهوة التى تسببت فى فتحها بما ارتكبته من اخطاء عملت بالعكس على توسيعها : فقد سارت تتوغل بخطى واسعة فى طريق الحكم المباشر .

فكان من الطبيعى والحالة هذه ان تعبىء الوطنية وتستغيث .

كتلة العمل الوطنى :

هنالك تأسست كتلة العمل الوطنى تحت قيادة نخبة تخلص لبلادها فالتزمت القيام بواجب أولى وهى حملة من اجل تنوير الراى العام الفرنسى حول الحالة بالمغرب والأعراب فى نفس الوقت عن حاجيات الشعب المغربى ومطامحه فلهذا الغرض احدثت بباريس باعانة شخصيات سياسية فرنسية مجلة « مغرب » وهى مجلة شهرية تهتم بالشئون المغربية .

ثم صدرت بفاس جريدة اسبوعية باللغة الفرنسية هى « عمل الشعب » بعد آلاف العراقيل التى نصبتها لها السلطات الفرنسية .

والى جانب هذه الحملة الصحافية انكبت الكتلة على العمل فحررت برنامج اصلاحات فى « دفتر المطالب المغربية » قدمته فى أول ديسمبر سنة ١٩٣٤ الى الحكومة الفرنسية بباريس وجلالة السلطان والاقامة العامة بالرباط وذلك كى لا تتهم بالمعارضة حبا فى المعارضة والتهريج المقيم .

ومن المفيد ان نرسم هنا الخطوط الكبرى لهذا البرنامج :

ـ تطبيق دقيق لمعاهدة ١٩١٢ والغاء كل حكم مباشر .

ـ الوحدة الادارية والقضائية فى المغرب كله .

ـ مشاركة المغاربة فى القبض على زمام السلطة فى مختلف فروع الادارة .

ـ فصل السلطات المركزة فى يد الباشوات والقواد .

ـ احداث بلديات ومجالس محلية وغرف اقتصادية ومجلس وطنى يتكون من ممثلين مغاربة واسرائيليين .

وقد تلقت كتلة العمل الوطنى عبارات التايد من جميع انحاء المغرب ولم يكن نشاط هذه الكتلة مقصورا على المطالبة بتنفيذ هذه الاصلاحات بل امتد الى ميادين الاسعاف والتعليم من ذلك ما ظهر فى معظم مدن المغرب من مدارس قرآنية مجددة تنشر تعليما حديثا

ولكن الاقامة العامة ظلت صارمة فى سياستها المتشبثة بابقاء ماكان على ماكان ولم ينجم عن نزول الحلفاء وتحريرهم افريقيا الشمالية من النفوذ الالمانى ولا عن استقرار لجنة التحرير الفرنسية بالجزائر ولا عن عودة الجمهورية الفرنسية اى تعديل فى هـــذا الوضع البائد الذى أقل ما يقال فيه انه لم يكن اقل فداحة من النظام الفاشستى .

وقد ظل الشعب المغربى محروما من جميع حريات القـــول والاجتماع ينوء تحت عبء الضرائب ويجرد بصورة فاحشة لفائدة العنصر الاوربى من حقوقه فى جميع الميادين لاسيما فى ميدان التموين حيث كان محروما من بعض المواد .

الحزب الوطنى :

وقد انعقد مؤتمر سرى بالرباط فى شهر ابريل سنة ١٩٣٧ فقرر تاسيس « الحزب الوطنى لتحقيق المطالب » ويضم جميـع أعضاء كتلة العمل الوطنى .. فازدادت الادارة الفرنسية ارتياعا ازاء ما احرزه هذا الحزب من نجاح ونفوذ .

وقد تكاثرت الحوادث ففى أول سبتمبر سنة ١٩٣٧ قام سكان مكناس بمظاهرة فى الشوارع ضد القرار الذى اتخذته الادارة لتحويل مياه بوفكران التى كانت تسقى المدينة نحـــو اراضى المستعمرين الفرنسيين وقد أطلق الجنود النار على المتظاهرين فمات أكثر من خمسة عشر شخصا وجرح نحو المائة ثم القى القبض على جماعات وفيرة من الناس .

فمنع صدور الصحف الوطنية « عمل الشعب » والاطلس ومغرب ومنع كذلك انعقاد مؤتمر طلبة شمال افريقيـــا الذى كان مقررا اجتماعه بالرباط يوم ١٥ سبتمبر .

حزب الاستقلال :

عبر حزب الاستقلال عن ارادة الامة مطالبا :

١ ـ باستقلال المغرب ووحدة اراضيه .

٢ ـ باقرار نظام ديموقراطي شبيه بنظام الحكم في دول الشرق الاسلامية يضمن حق جميع عناصر المجتمع المغربي وطبقاته

ثم قررت بعد ذلك بعض المبادىء لتكـــــون اساسا للنشاط الاجتماعي والسياسي والاقتصادي وهذه المبادىء هي :

١ ـ باستقلال المغرب ووحدة اراضيه .

٢ ـ الحريات بجميع مظاهرها .

٣ ـ اصلاح البلاد .

٤ ـ نظام ملكي دستوري .

٥ ـ التعاون الدولي .

في هذا الجو المرعب توجه م . دوبنصون الى القصر الملكي يوم الاحد ٢٥ فبراير وسلم لصاحب الجلالة رسالة رئيس الجمهورية تؤكد فيها تأييد الحكومة الفرنسية للجنرال جوان ودعوة لصاحب الجلالة الى الاذعان .

وعند الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم ارسل الجنرال جوان لصاحب الجلالة نص بروتوكول مع انذار شفوي بانه ان لم يوقعه صاحب الجلالة في ظرف ساعتين فيجب على جلالته ان لايعتبر نفسه ملكا على البلاد .

ويحتوي البروتوكول المذكور على النقط الاتية :

١ ـ اصدار بلاغ ملكي وبلاغ وزاري لاستنكار أساليب ما عبر عنه بحزب من الاحزاب .

٢ ـ طرد أعضاء الديوان وبعض كبار موظفي المخزن ومـــديرا جامعة القرويين .

٣ ـ تعديل الهيئة الوزارية بعزل وزراء ومندوبين .

٤ ـ عزل بعض القواد وتعيين آخــــرين عوضهم فرضتهم الادارة

ولا ذنب لاولئك كلهم الا وقوفهم الى جانب صاحب الجلالة لما قرر خلعه بان تمادى فى مقاومته كما صرح بذلك ديسانج فى مجلة الاوبسرفاتور بتاريخ ٢٩ مارس سنة ١٩٥١ .

ه ـ التوقيع على المراسيم التشريعية التى كان الخلاف قائما فى شأنها بين القصر والادارة الفرنسية ومن الغريب انه بمجرد ما وقع الحصول على توقيع صاحب الجلالة امرت الادارة الفرنسية فرسان القبائل بالرجوع الى منازلهم .

أما بفاس فقد ابت الادارة الفرنسية الا أن تقوم بتمثيل فصل آخر من الرواية وذلك بان أمرت فرسان القبائل بشق شوارع المدينة حاملين رايات فرنسية كانهم متظاهرون ونصبت الادارة فى الاحياء الاوروبية ابواقا نادت بها على الاوروبين ليخرجوا لمشاهدة القبائل يتظاهرون عفوا ضد الاستقلال ويعلنون ولاءهم واخلاصهم لفرنسا وقد أخذت صورة لذلك وشرائط سينمائية عرضت بقاعات السينما للتأثير على الجمهور .

وقام حزب الاستقلال من جهته يستصرخ بدول العالم فكان لذلك من الاثر بالعالم الاسلامى كله ما حمل الجامعة العربية على التدخل فى الامر وصرح معالى عبد الرحمن عزام باشا الامين العام للجامعة العربية معلنا تأييد الجامعة العربية لمطالب الشعب المغربى ومنددا بالاستعمار الفرنسى ومناوراته .

وفى ١٢ فبراير بعد ما عاد الجنرال جوان من امريكا تقابل مرة اخرى مع صاحب الجلالة وعرف بعد انه جدد له طلباته المذكورة .

وفى الغد عقد صاحب الجلالة مجلسا وزاريا اضاف اليه أفرادا من علماء الدين للدرس مشروع الاقامة وبعدما تداول المجلس الوزارى اجمع اعضاؤه على ان لاموجب للتبرؤ من طائفة معينة من رعايا صاحب الجلالة ثم توجهت الهيئة الوزارية عند الجنرال جوان لتبلغه مشافهة ما قررته ، فعامل الجنرال جوان اعضاء الهيئة بما لايليق بمقامهم وكرامتهم وخاطبهم قائلا : « ان لم تنفذوا ارادتى فان القبائل البربرية ستنقض على أهل المدن بالذبح والسلب والنهب وحينئذ تأتون الى وتطلبون منى أن احميكم ولن أفيئكم .

فثبت الوزراء على موقفهم . وفى ٢٢ فبراير قرر الجنرال جوان قطع العلاقات الرسمية مع القصر فاذ ذاك طلب صاحب الجلالة من الحكومة الفرنسية تحكيمها .

٤ ـ بروتوكول ٢٥ فبراير سنة ١٩٥١ :

واعلنت الصحافة الفرنسية نبأ قطع العلاقات فى مقالات بارزة وزاد فى توتر الجو ما أمرت به سلطات المراقبة الفرنسية فرسانا من القبائل من قصد فاس والرباط والنزول بأراضيهما دون أن تبين لهم السبب الحقيقى لهذه الحركة بل قالت لفريق منهم أنهم ذاهبون لحضور حفلة لدى صاحب الجلالة ولفريق انهم ذاهبون لحفلة استقبال مقيم جديد ولفريق انهم ذاهبون لحفلة وزير من وزراء فرنسا ولفريق انهم ذاهبون لحفلة استقبال وزير امريكى فانخدع الفرسان بذلك لانهم معتادون أن يسخروا فى جميع الحفلات الرسمية بينما اخذت الصحافة الفرنسية تضلل الرأى العام فى الخارج مدعية فى ان القبائل الهائجة وسكان الجبال المسلحين متوجهون للهجوم على الاهالى من سكان المدن وان الادارة الفرنسية اتخذت الاحتياط فارسلت بعض جيشها لحماية الحواضر وكان القصر الملكى ومقر ولى عهد المملكة المغربية محاطين بالجيوش الفرنسية بدعوى حماية العائلة الملكية .

وفيما يلى ما كتبه أحد المواطنين الفرنسيين المقيمين فى المغرب الى صديق له فى فرنسا يصف الحالة فى المغرب العربى على أثر تصرفات جوان ضد ـ محمد الخامس ـ وتدخله ضد الحكومة المغربية فى ذلك الحين .

وهذا هو نص الخطاب :

رفيقى العزيز :

اكتب لك وقلبى مفعم حزنا والما .. ان ماشاهدته اليوم ليشيع الاسف حقا وليس السبب فى ذلك الخلاف الخطير الذى بين القصر **والاقامة العامة بل السبب هو الاساليب المستعملة لتضليل الرأى العام** وانى بصفتى فرنسيا وديموقراطيا لايمكننى ان احبذ مثل هذه الاساليب . لقد شاب قرنى فى السياسة فأصبحت اميز ما بين العواطف النبيلة والاساليب التى يجب استعمالها للوصول الى اقناع الناس فى شأن وجهة نظر بسيطة وقد بين لنا سارتو ان طرق الحرية ملتوية محفوفة بالاخطار ..

ومع ذلك فان بيرتون تنبأ فى مقاله الافتتاحى الذى تجده بصحبة خطابى بان هذا اليوم « الاثنين » سوف يكون يوم نحس .

ان الانسان يعجزه الادراك عندما يشاهد ان ما يقرب من . . . .
فارس صدوا عن عملهم الفلاحى وجيء بهم الى فاس بدعوى ان بها حفلة عظمى وتركوا قائمين امس واليوم خارج أبواب المدينة غطاؤهم السماء ثم احيطوا برجال الشرطة واستعرضوا بشوارع المدينة لاثارة الفزع فى قلوب السكان .

كيف يمكن لفرنسا ـ سيدتنا فرنسا كما يقول دكول ـ فرنسا التى قامت بثورة سنة ١٧٨٩ ان ترذل فترتكب مثل هذه الاساليب

فمن المقصود بهذه الخديعة واى هدف يرمى اليه ؟ اى معنى لهذه المظاهرات المدبرة التى تقذى العيون ؟ اهذا هو تطبيق معاهدة الحماية المؤرخة فى ٣٠ مارس سنة ١٩١٢ التى ينص فصلها على تأييد جلالة السلطان ضد كل خطر يمكن ان يهدد سلامة مملكته ؟ انهم ينشرون البغضاء فى قلوب البدو ضد سكان المدن الى حد ان الناس بدكالة احرقوا دار رجل غير موال للادارة وبعد هذا كله يصيح الراديو بان جنود القوم يحرسون قصر السلطان من المتظاهرين الذين ربما يقصدونه فما المقصود من عملنا هـــذا ؟ اليس لنا وزراء اشتراكيون ؟ ان الانسان ليتمنى ان لو كان يحكمنا قوم رجعيون فنستطيع على الاقل ان نفهم حقيقة الامر .

ايزعمون ان هذه البلاد غير قادرة على حكم نفسها بنفسها فكيف استطاعت اذن ان تتكتل ضد مالا يلائمها . وبما ان كل مأساة لا تخلو من فكاهة فان بعض اولئك الفرسان على ما يقال كانوا يخشون ان يرجهوا الى القتال بالهند الصينية .

وعلى كل فان شوارع المدينة اثناء المظاهرات كانت تقريبا خالية من السكان يسودها سكون عميق .

وعلم من بعد انه خلال يوم ٢٥ فبراير اعدت طائرة لنقل صاحب الجلالة وعائلته خارج المغرب ان اصر على الامتناع عن التوقيع كما انه كان من المقرر ان يتوجه الجلاوى واصحابه المسلحون على يد الاقامة العامة الى فاس لاكراه علمائها على مبايعة سيدى محمد بن عرفه العلوى .

ويوم ٢٦ فبراير اذاعت الاذاعة الفرنسية ان اتفاقا « هكذا » وقع بين صاحب الجلالة والجنرال جوان وان الازمة انتهت فامرت الادارة الفرنسية بتزيين جميع المدن بالرايات الفرنسية وبالغت فى

اذاعة تصريحى صاحب الجلالة والصدر الاعظم وصارت تجمع الناس فى المدن والبوادى وتطلب منهم ان يوقعوا على عرائض الولاء لفرنسا والعداوة لحزب الاستقلال وبلغت المغالطة والوسائل الخسيسة بالادارة الى اقصى حد فمن ذلك انها عمدت بقرية السخيرات الى العاطلين وطلبت منهم ان يقيـــدوا اسماءهم فى لوائح ادعت انها لوائح من سيبحث لهم عن عمل ولم تلبث ان اصبحت تلك اللوائح « عرائض ولاء » وكذلك بسطات وغيرها من الجهات فان السلطة طوقت الناس الموجودين فى السوق الاسبوعى بينما صعد الباشا ليعلق على تصريح الملك وذلك لتستطيع شركة السياسة الفرنسية تسجيل اشرطة تدعى انها تمثل المظاهرات التى قام بها عفوا البدو ضد حزب الاستقلال . اما بقبيلة الرحامنة فان الادارة اقتصرت على نسخ قـــوائم الذين يؤدون الضرائب وما اطولها وفى ناحية فاس اكتفى قائد قبيلة بوضع اصبعه عن عدد الافراد الذين كلف جمعهم لهذا الصدد .

وننصت الان الى شهادة مسيو بيرباران الذى كان نائبا فيما قبل عن فرنسى المغرب بالمجلس التاسيسى الفرنسى وقد نشرتها مجـلة الاوبسر فاتور :

رسالة موجهـــــه من فرنسى يقطن بالمغرب الى السيدين م. روس وك. بوردى بتاريخ ٢٧ فبراير سنة ١٩٥١ اننى والاسى يملا قلبى اكتب لكما هذه الرسالة لاصف لكما القـــاذورات التى عيش فيها هنا .

فلاشك انكما سمعتما بالمظاهرات التى تسرعت القبائل من تلقاء نفسها الى القيام بها قصد اظهار ولائها لفرنسا وسادلى لكما بتحقيقات تيسر لكما معرفة الحقيقة ولن احدثكما طبعا الا عن الناحية التى اقطن بها وانتما تعلمان ان ما يجرى بناحيتى يجرى مثله بالنواحى الاخرى

ولنبدأ بحادث له مغزاه فقد نشرت الصحف الفرنسية الثلاث التى تصدر فى البيضاء بتاريخ ٢٦ فبراير سنة ١٩٥١ الخبر القصير الاتى ذكره وهو وارد بنص واحد فى جميعها فليس اذن هذا الخبر اختلاقا من صحفيين فقدوا رشدهم بل هو صادر عن مصدر رسمى وقد وزع على جميع الصحف واليكما نص الخبر :

« بلغنا فى هذا الصباح ان بيتا يسكنه وطنى قد اشتعلت فيـه النار بالقرب من البير الجديد ليلة ٢٥ فبراير » .

في حين انى أسكن البئر الجديد واسعى منذ ٤٨ ساعة الحصول على تدقيقات ولم اتمكن بعد لغاية مساء اليوم ٢٧ فبراير من العثور على الدار المحروقة ولا تدرى ساكن فى القرية شيئا عن هذا الامر .

انه امر جد غريب اليس كذلك ؟

لكن صحف اليوم ٢٧ فبراير تخبرنا ان كثيرا من الفلاحين شخصوا الى أزمور عند الزوال وقد انضم اليهم صناع وتجار من المدينة وبعض قدماء المحاربين المغاربة فقصدوا ضريح مولاى بوشعيب الذى اعلنت زاويته عزمها على الانضمام الى الحركة ولهذه الزاوية نفوذ كبير فى تلك الناحية وقد كان موقفها صريحا ضد حزب الاستقلال ثم قصد الموكب سعادة الباشا فمشى فى طليعته واجتمع الكل امام مركز المراقبة المدنية لتقديم عريضتهم . .

واليكما الرواية الرسمية ساقول لكما ماحدث فى الواقع :

فى عشية ٢٥ فبراير طاف المكلف على الناس فى البئر الجديد ليعلمهم بانه يتعين عليهم ان يذهبوا فى الغد الى ازمور فى الساعة ٨ واشاروا الى ان من يتخلف منهم عن الذهاب الى الدعوة يندم ولم يستطع او لم يرد ذكر موجب هذه الدعوة فظن كثير من المغاربة انه للتلقيح ضد السل .

وبالطبع ذهب فى الغد عدد كبير من الاهالى الى أزمور وكثير منهم ركبوا فى سيارات غير مأذون لها بنقل المسافرين لكن رجال الشرطة كانوا متعامين فى ذلك اليوم عن مثل هذه المخالفة .

وعند وصولهم الى ازمور تم تصفيفهم رباعا او خماسا وطيف بهم عدة مرات فى أزقة المدينة ليشاهدهم سكانها .

وكدت انسى ان اقول ان كثيرا منهم عند مرورهم بسوق الاثنين أى فى منتصف الطريق من البئر الجديد الى ازمور ـ اتيح لهم ان يروا اعوانا يرغمون الناس بدون رفق على ترك بضائعهم فى حراسة بعضهم والانضمام الى المسافرين .

وعند الزوال كان هؤلاء الناس المساكين لايزالون فى أزمور بعد مرورهم فى موكب ماكثين فى موضعهم من دون أن يعرفوا بعد لماذا وقع استدعاؤهم فطلبوا ان يسمح لهم بالذهاب لتناول الغذاء فلم يسمح لهم به وابادر الى القول بانهم انتظروا حتى الساعة الخامسة ظهرا قبل ان يتمكنوا من تناول الطعام .

وخلال مقامهم بازمور وجه اليهم خطاب صغير لم يشتمل على قذف والحق يقال ولم يخرج عن المألوف من عبارات الدعاية العادية مذكرا اياهم بكل مايدينون به لفرنسا آمرا اياهم بعدم الانصياع الى نصحاء السوء وبالوشاية بهم ثم سمح لهم بالرجوع الى حال سبيلهم

وبديهي ان جميع هؤلاء المساكين قد اضاعوا عمل يومهم وتحملوا مصروفات السفر .

فانتما تريان ان رواية الصحف لا تبتعد في الجملة عن الحقيقة باكثر من ٩٠ في المائة ولكن هل بلغ الامر بالعصابة التي ترهق المغرب في الساعة الراهنة الى ان تستخف بالشعب الفرنسي كل هـذا الاستخفاف فتلقي له هذه الخزعبلات المدهشة التي تقراها في الصحف الصادرة هنا وبفرنسا .

هل المغرب ياترى بلاد ينعدم فيها الامن بحيث يستطيع الطائشون احراق الدور ؟ هل المغرب يستعصي زمامه على الايدي بحيث يستطيع الاف الفرسان المجيء الى فاس والى قصر السلطان بالرباط وهو الذي يبدو ان من الواجب حمايته وتعجز السلطة عن منع كل هذا ؟ ان هذا هو الشيء الخطير والخطير جدا ان الميكيافيليين الذين يتخبطون في اكاذيبهم لا يفطنون من خلال نواياهم السيئة الى انهم يعطون اسلحة ضدهم .

وهل يظنون حقا ان سكان هذه البلاد النزهاء سيمكثون من دون ان يحتجوا على تزييف الحقيقة .. ؟

اما انا فاني عاجز عن ذلك وينبغي ان اقول اني طيلة الـ ٣٥ سنة التي قضيتها في المغرب وخصوصا منذ ابتداء ديكتاتورية الجنرال جوان قد شاهدت في هذه البلاد عدة اشياء غير صالحة ولكني كنت ما ازال ساذجا ولم اكن اعتقد انه في الامكان الانغماس الى هذا الحد في الكذب والضعة .

أواه ثم اواه هلا يتأتى للمغرب يوما التخلص من هذه العصابة الشريرة التي ستفضي به الى بغض فرنسا .

وزيادة على هذه الحركة التي نظمها الاداريون للتظاهر ضد الملك وحزب الاستقلال فانها سلطت على البلاد كلها موجة من الارهاب والقمع وكانت اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال اول ضحية وذكرت مجلة الاوبسير فاتور في عددها المؤرخ في ٢٠ مارس سنة ١٩٥١ رغم

ما تدعيه الاقامة العامة فان عدد اعضاء حزب الاستقلال المعتقلين يمكن ان يقدر بنحو الالفين وقد حـــكم عليهم بالسجن بتلك التهم المعروفة كعقد اجتماع بغير اذن او تحرير منشورات وما الى ذلك .

وان عدد الاعتقالات منذ ذلك التاريخ لايزال فى ازدياد .

ولم يلبث الناس فى البوادى وخصـــوصا فى الاطلس ان تنبهوا الحيلة التى انطلت عليهم فقاموا بمظاهرات احتجاج من ذلك ان عشرات الالاف من البدو توالوا على مراكز القواد ورجال المراقبة الفرنسية باغلبو وتنيلوين والقصيبة وتادلة والقباب وغيرها منادين « خدعونا فلسنا اعداء لحزب الاستقلال وان ملكنا المحبوب هو صاحب الجلالة ونشبت مشاجرات عنيفة بين المتظاهرين وبين القواد واعوانهم وكان المتظاهرون يطالبون بعزلهم فلم تستطع الادارة ان تتمادى فى ستر هذه الحوادث واخذت تنشر ادعاءات كاذبة منها وقوع فتن بين القبائل ومعارك بالقصيبة وتلوين والقباب وغيرها فكيف يا ترى نشبت هذه المعارك وانتشرت فى نواح مختلفة فى آن واحد وذلك فى الوقت نفسه الذى كانت تدعى فيه الادارة الفرنسية ان القبائل البربرية تقدم عبارات ولائها لفرنسا بدون شروط ولا قيد ، لكن مسيو حيجز المحرر المشهور بوكالة الانباء الفرنسية تنبه الى انه لايمكن التمادى فى تضليل الرأى الفرنسى ، وذكر فى جريدة الموند بتاريخ ٣ ابريل سنة ١٩٥١ : « اننا نرى اليوم مظهرا جديدا للازمة المغربية مباينا لما سبق اذ بلغنا ان جماعات من الاهالى يجتمعون فى هدوء ببعض القرى على تخوم النواحى البربرية فى جنوب مكناس ويقضون ساعات طوالا بدون ان يحدثوا جلبة ولا تظاهرا أمام مراكز المراقبات المدنية وقد بدأت هذه المظاهرات فى أواسط الاسبوع المنصرم ومن السهل ان تدرك المحرك لهذه المظاهرات واذا ما سئل هؤلاء الناس عن مقصودهم اكتفوا بقولهم انهم يطالبون بعزل قوادهم الذين تجاهروا بالعداء للسلطان وكل ذلك كان يجرى فى هدوء وادب فلا تستطيع الادارة الفرنسية زجرهم » .

الفصل الثالث

تحليل واستعراض للاسباب التى ادت الى نفى محمد الخامس

- **الدسائس الاستعمارية ضد محمد الخامس واسبابها .**
- **لماذا فشل الاستعمار فى أن يجعل الشـعب المغربى ينسى بطله وملكه العربى المكافح .**
- **نفى محمد الخامس .. بداية الطريق لاستقلال المغرب ..**

محمد الخامس فى ٨ ابريل سنة ١٩٤٧ يصرح بان بلاده عربية تسعى للانضمام للقافلة العربية تحت راية الجامعة العربية .

اذا ما استعرضنا كفاح الشـعب المغربى .. لاحظنا دائما ان محمـد الخامس كان يرعى ذلك النضال البطولى ضـد القوى الاستعمارية الغاشمة .

ولقد ظل كفاح الشعب المغربى منذ عام ١٩١٢ وهـو تاريخ العدوان الفرنسى البغيض للافتيات على الاستقلال المغربى .

ولكن الكفاح من أجل الاستقلال بلغ ذروته خلال تولى محمـد الخامس حكم المغرب .

نعم كافح الملك سنين طويلة وناله من الخسة والدناءة المعروفة من الاستعمار الفرنسى ما ناله .

ومع ذلك لم ينضب معين ايمانه بان وسائل الخير هى التى تنتصر فى النهاية على وسائل الشر ـ ولقد استمر محمد الخامس الذى طبعت نفسه على السلم يناقش الذئاب بمنطق الاخيـار دون ان يتزحزح قيد انملة عن موقفه فى مقاومة الاستعمار .

ولقد أصطبغ الكفاح بين الملك الحر وفرنسا الاستعمارية بالوان مختلفة ولنعود الى عام ١٩٤٧ فاذا بنا امام رجل قد اكتمل رشده وناله من الاحداث السياسية ما ناله واجتاز ازمات الحرب المتوالية فى حذق . فماذا قال محمد الخامس وقتئذ ؟ ..

اما التاريخ فهو شهر ابريل ١٩٤٧ عندما كان فى مدينة طنجة وفى اليوم التاسع على وجه التحديد لقد أعلنها عالية مدوية على رجالات الصحافة الوافدة من انحاء العالم « اننى اطالب باستقلال بلادى ـ **ذلك لان بلادى عربية اسلامية موحدة ـ تتوق الى الانضمام الى الجامعة العربية وليست لها علاقة بالاتحاد الفرنسى .**

وهكذا لم يكن امرا غريبا ان تدبر له فرنسا الاستعمارية الدسائس والمؤامرات المتوالية .

الدسيسة الاولى سنة ١٩٤٧ ـ تصريح رئيس وزراء فرنسا

وعلى اثر تصريح طنجة ٨ ابريل سنة ١٩٤٧ انعقد مجلس الوزراء الفرنسي .

واذا برئيس وزرائها يدلي ببيان بالغ في الغرابة والسذاجة .

وكان التصريح مضمونه كالاتي : ـ

« ان سلطان مراكش ينظر الى نفسه باعتباره من سلالة نبي المسلمين وارث عرش الخلافة . »

وعلى هذا الاساس حاول الاستعمار الفرنسي تفسير خطاب طنجة الذي طالب فيه محمد الخامس بالاستقلال والتضامن العربي

نعم حاول الاستعمار الفرنسي تأويله بانه مطالبة ـ ضمنية ـ بعرش الخلافة **وليس تسجيلا للعلاقات التاريخية التي تربط بين المغرب وشقيقاته العربيات الاسلاميات .**

وعندما عاد محمد الخامس الى عاصمة ملكه بعد جولته في طنجة وبعد استنكار اهل طنجة .

وكان عزل المقيم العام المسيو اريك لابون وهو رجل من المدنيين وتعين الجنرال « جوان » خلفا له في منصب الامانة العامة .

تصريح خطير لجوان

واذ بالمقيم العام يعلن في مؤتمر صحفي الاتي :

لقد روعي في تعييني انني قادر على ارجاع الامور الى نصابها في مراكش اى انني عينت في منصبي لتاديب السلطان والمغرب على يده حتى لا تتكرر « مأساة » طنجة مرة اخرى .

الدسيسة الثانية عام ١٩٥٠

اما المؤامرة والدسيسة الثانية فقد جاءت مغايرة للاولى اختلافا تاما .

وذلك فقد عجز جوان عن اعادة الحالة الى ماكانت عليه امام اشتعال جذوة القومية العربية التي آلت على نفسها في تلك البقعة ان تخلص المغرب من براثن المستعمرين بفضل رعاية رائدها هنالك .

واقترن اسم محمد الخامس بالاماني القومية ولجأت فرنسا الى حيلة وهي دعوة الملك الى فرنسا . واشترط الرجل ان يكون الهدف من « **الوصول الى اتفاق جدي بين البلدين** » ووافقت .

ومنذ بداية الزيارة شعر محمد الخامس ان الوزراة الفرنسية احاطت زيارته لها بالترحاب وكان الغرض منها اضاعة معالم سوء التفاهم واختلاف وجهات النظر .

ولقد شعر بذلك الملك وانه قد استدرج الى كمين ..

وان الحقائق في ذاتها لا تهم الوزارة الفرنسية ولم يكن محمد الخامس وهو يخترق انوار باريس يفكر الا في شيء واحد .

ولقد كان الشيء الواحد واضح المعالم عميق التاثير في نفسي يتلخص في هدفه الاسمى وهدف الملايين من عرب المغرب العربي والوطن العربي ايضا الا « اماني بلاده القومية في النصر والاستقلال والتضامن العربي » وتقدم محمد الخمس بمذكرة الى الوزارة الفرنسية .

وكان رد الوزارة الفرنسية زيادة المبالغة في الاحتفاء بجلالته .

ولكن الرجل الوطني اعاد الكرة وأرسل مذكرة جديدة تحمل نفس المعنى الذي اشتمت عليه المذكرة الاولى وبعد وصول هذه المذكرة الى الوزارة لم يعد هنالك مجال للتأويل .

وفجأة نزلت حرارة الاستقبال الى درجة الصفر واذا بجلالة محمد الخامس الذي استقبل منذ أمد قريب في باريس بحماسة منقطعة النظير يعود الى بلاده راضي النفس من حيث الرسالة التي قام بادائها ولكنه في نفس الوقت كان كئيبا حزينا بل ومشمئزا . لان الحكومة الفرنسية اخلفت وعدها له فيما تعلق باستعدادها لمناقشة الافكار التي قدمها اليها وهكذا بدا لمحمد الخامس من الواضح ان للفرنسيين اهدافا غير اهدافه يسعون الى تحقيقها بطريقة او باخرى .

السيسنة الثالثة سنة ١٩٥١ « جوان »

على انه قبل ان نساير الحوادث التالية يجب ان نشير الى ان حركة الشعوب لاتقوم على المشاعر الفردية ولذلك فلا بد من الاشارة الى ان حزب الاستقلال المراكشي كان الهيئة الشعبية الفعالة التي كانت تقوم بدور « المحرك » خلف الرأي العام المراكشي وقد تكون حزب الاستقلال في سنة ١٩٤٤ واستمد فلسفته السياسية الجديدة من اغلاط الفرنسيين التاريخية فكان الاساس الذي قام عليه هو ان الاصلاح ليس طريقا الى الاستقلال وانما الاستقلال هو الطريق الى الاصلاح .

ومعنى ذلك انهيار الثقة بفرنسا ونواياها الحسنة فيما تدعيه من انها قدمت الى هذه البلاد لاصلاحها اذ برهنت الحوادث بعد مرور ٣٢ سنة منذ فرضت معاهدة الحماية على مراكش ان فرنسا لاترى في هذه المعاهدة الا اداة شر وان في تاريخ هذه الفترة من الدسائس والاكاذيب والحوادث التي يؤسف لها الف دليل على ان فرنسا غير

صادقة فيما تدعيه . وهكذا تكون الحزب الذى عرف فى السنوات الاخيرة اثناء حوادث مراكش المثيرة باسم « حزب الاستقلال »

وسرعان ما كان لحسن النية اثر كبير فى التوحيد بين اهداف الحزب واهداف السلطان وبذلك تطور التعاون بينهما من ميدان التفكير الى ميدان العمل فى نطاق المشروع .

وقد كان على الجنرال جوان ان يواجه هذه الوضعية بعداخفاق العنف الذى قام به . وبعد زيارة السلطان لباريس وبعد التقدير والتدبير قرر انه لابد من احداث انشقاق بين السلطان وحزب الاستقلال ولكنه ما كاد يسعى الى تحقيق ذلك بطريقته التى كانت مستقيمة حينا ومعوجة احيانا حتى تبين له انه ينطح صخرا .

وهنا قرر ان يطلب من السلطان مطلبه الصبيانى المعروف « اما تبرائ من حزب الاستقلال ، اما تركتك لغضب شعبك » ، وهكذا حاول ان يتحكم فى عواطف السلطان الوطنية .

ورفض السلطان بالطبع .

واذا بالجنرال جوان يتخذ الخطوة التالية فيسعى لدى القبائل حتى اذا ما تبين له انها غير مدركة للاوضاع الصحيحة دعاها الى التحرك من مرابطها للقيام ببعض مظاهر الفروسية باسم حكومة المخزن « الحكومة المراكشية » فى الرباط ثم قذف بنفسه الى قصر الرباط لينذر السلطان بان هناك تجمعات للقبائل بقصد منها الزحف الى العاصمة لخلعه عن عرشه لانه يرفض التنكر لحزب الاستقلال.

واضاف الى ذلك انه يضمن حمايته للسلطان من هذه التجمعات الزاحفة اذا هو اعلن تبراه من الحزب .

ثم تبينت الدسيسة لنفس هذه التجمعات وعرف الفرض من تحريكها واذا بها ترجع الى مرابطها من جديد بعد ان استبدبها حنق مصدره ايمانها بان الفرنسيين عبثوا بكرامتها وبذلك فشلت الدسيسة الثالثة .

الدسيسة الرابعة

كانت الدسيسة الرابعة اشد الدسائس خبثا وانحطاطا فهى تبدا بحملة واسعة النطاق ضد السلطان محمد الخامس ويصحبها سيل من المنشورات التى تقذف شرفه العائلى وتنهش عرض بناته وتذهب الى حد مناقشة شجرة نسبه .

حتى اذا ما حاول جلالته أن يقاوم هذه الحملة الدنيئة ببعض البلاغات الرسمية منعت الرقابة الفرنسية نشرها ثم اتخذ هذا

العدوان قاعدة بحيث لم يعد فى استطاعة جلالة محمد الخامس ملك مراكش تكذيب اية تهمة توجهها اليه احقر صحيفة يصدرها الفرنسيون فى مراكش .

وتشتمل هذه الدسيسة على اكتشاف قنابل فى القصر الملكى قبل انفجارها كما تشتمل على اكتشاف بعض الاغراب فى مطبخ القصر ولكن القواعد الدقيقة المتبعة بالقصر فى مثل هذه الشئون حالت دون تكرار حادثة الاشتباه فى أسباب الوفاة وهى احدى الحوادث المعروفة التى توفى بعدها والد سلطان مراكش الحالى « مولاى يوسف » على اثر نزاع قام بينه وبين المقيم الفرنسى العام فى ذلك الحين مسيو (لوسيان) سان .

وقبل ان تصل هذه الدسيسة الرابعة الى اهدافها بعزل الجنرال جوان لينقل الى منصب جديد فيعين ـ بترشيح منه ـ الجنرال جيوم ليخلفه فى منصبه . وبذلك كان عليه ان يرث هذه التركة الثقيلة الاعباء .

ولكن الجنرال جيوم كان اشد صلفا من الجنرال جوان حينما عين فى منصب الاقامة العامة . فقد اعلن فى الخطبة الاولى التى دشن بها « عهده » انه سوف « يطعم الوطنيين التبن » وانه سيحطم أسنان الذين يرفضون مصافحته الى غير ذلك من الخزعبلات .

على ان الجنرال جيوم لايشغل فى دار الاقامة الا مركزا لرئيس ذلك انه يوجد خلف هذا المركز اناس اخرون من الفرنسيين يستوحون أهدافا متشعبة وتسيطر عليهم فى نفس الوقت اموال يرصدها كبار ملاك الاراضى الفرنسيين فى مراكش وهؤلاء الملاك يسيرون موظفى الاقامة فيسير موظفو الاقامة العامة موظفى وزارة الخارجية وموظفو وزارة الخارجية يسيرون الوزارة كلها .

وهكذا تصل قضية مراكش الى الوزارة الفرنسية بمثل هذا الطريق المعوج الذى تزيده الذمم الخربة اعوجاجا .

وتاه الجنرال جيوم فى هذه السراديب الى ان هداه حادث اجرامى ارتكبه فرنسيون فى بلاد عربية أخرى تقع فى شمال افريقيا وهذا الحادث هو اغتيال الزعيم النقابى التونسى المغفور له فرحات حشاد .

فقد بلغ ايمان الشعب المراكشى بأفريقية وعروبته واسلامه مبلغا لايسمح له بان يقف موقف المتفرج حينما يصرع فريق من المجرمين الفرنسيين شخصية من المع الشخصيات الوطنية فى تونس فانتشرت مظاهرات الاحتجاج فى سائر انحاء مراكش .

وعلى اثر ذلك اهتدى الجنرال جيوم الى الحل الاستعماري الوحيد لهذه الازمة التي استفحل أمرها في مراكش واذا بجحافل الجيش الفرنسي تكتسح البلاد كلها في شهر ديسمبر سنة ١٩٥٢ وتعيث فيها قتلا وتذبيحا ثم تستقدم اثناء الليل فرق اطفاء الحريق لغسل الشوارع من الدماء وفي صباح اليوم التالي وجهت الى حزب الاستقلال تهمة اثارة المشاغبات والقى القبض على جميع زعمائه وما يزالون الى كتابة هذه السطور نهبا للتنكيل والتعذيب دون ان تلمس قلب الجنرال لمسة من لمسات الرحمة .

وعقب ذلك صدر الامر بحل « حزب الاستقلال » وبتعطيل جميع صحفه ومجلاته ونواديه ولما خلا الميدان من الحزب كان على السلطان محمد الخامس أن يواجه الجنرال جيوم منفردا وقد واجهه السلطان وخلفه قوة من ايمانه بحقوق بلاده اما الجنرال جيوم فقد واجهه وخلفه الحديد والنار .

واذا كانت الدسيسة الرابعة قد انتهت دون ان ينتصر احد الجانبين فقد اصبح من الواضح بعدها ان كفة السلطان قد شالت . اما الدسيسة الخامسة فقد انتهت بالزحف على قصر الرباط واحتلاله وقطع مواصلاته التليفونية وخطف السلطان وارساله أسيرا الى جزيرة كورسيكا وبذلك اصبح محمد الخامس يعيش في المنفى .

وفيما يلي تفاصيل هذا الخطف الذي يحتفظ بصبغته الاجرامية المثيرة امام كل مآسي (الخطف) التي عرفها التاريخ .

الدسيسة الاخيرة

وعلى اثر الاخفاق الذي منيت به هذه الدسائس كلها قرر الفرنسيون أن يضربوا ضربتهم الحاسمة فيكشفوا النقاب عن الوجه البشع الحقيقي الذي طالما حاولوا اخفاء معالمه بالالوان والاصباغ .

ولسنا نريد ان نشير هنا الى تلك الدعوة الزائفة التي روجت لها شرذمة من حكام المدن ، والنواحي المراكشيين وهي الدعوة التي تبجح الفرنسيون باعتمادهم عليها لسنا نريد ذلك لانها مجرد شرذمة اتسمت بالضعف وهوان الشأن في معرض الحديث عن جهاد مراكش في سبيل تحقيق امانيها على ان الثورة التي قاموا بها جاءت الاولى من نوعها اذ زحف هؤلاء الثوار في « ثورتهم » وهم يركبون السيارات الامريكية الفخمة . ولكننا نضرب عنها صفحا أيضا لانها كانت وعلى راسها الجلاوي الذي اشتهر اليوم باسم الخائن الاسود ـ أداة رخيصة هينة الشأن اما المنفذون الحقيقيون الذين لم يترددوا في مباشرة مداهمة السلطان بجنوده في قصره وارساله

مخفورا الى المطار ثم تهريبه الى جزيرة كورسيكا فقد كانوا جميعا فرنسيين لحما ودما يضاف الى ذلك ان هؤلاء الخونة لم يقترفوا وجودهم وانما اقترفه الاستعمار الفرنسى فلولاه لما وجدوا والخيانة بعد هذا من الرذائل التى ابتدعها الغزو والعدوان والاستعمار فى كل مكان وفى كل عصر .

المطالبة بخلع محمد الخامس

ولذلك راينا ان نضرب صفحا عن الدور الوضيع الذى قاموا به لنقفز الى يوم ٩ اغسطس ١٩٥٤ واذا بشرذمة من الخونة قدعقدوا اجتماعا فى قصر الجلاوى الخائن بمدينة مراكش ليتخذوا قرارهم بمطالبة (فرنسا) بضرورة خلع السلطان عن عرشه لانه افترى على الاسلام وافترى على فرنسا حينما طالب باستقلال بلاده وان مما يكفيهم خيانة هذا الجمع الوضيع بين الدين الاسلامى والاستعمار الفرنسى .

وكان هذا الاجتماع بمثابة قنبلة . . .

وعلى اثر ذلك راى جلالة السلطان ان يستدعى شخصية فرنسية عرفت باعتدالها هى شخصية « مسيو كلوسترمان » ليرسله الى باريس ذلك ان الجنرال جيوم مقيم فرنسا فى مراكش اختفى من البلاد وكان مسيو كلوسترمان » يحمل رسالة موجهة من السلطان الى مسيو فنسان اوريول رئيس الجمهورية الفرنسية تحتوى على شرح لتفاصيل المؤامرة وتطلب من الرئيس الفرنسى وضع حد لمثل هذه السفاسف .

نفى الملك بداية الطريق لاستقلال المغرب

ورب ضارة نافعة .. لقد ظن الاستعمار انه قادر على ان يغير .. وكان نفى محمد الخامس البوابة الكبرى التى زحفت منها طاقات القومية العربية فى المغرب نحو التحرر والاستقلال . وعاد الملك من المنفى واستقل الوطن المغربى . وها هو اليوم يضع يده مع الجامعة العربية . والركب العربى الصاعد المتحرر حقا انه كفاح بطل عربى من اجل العروبة ..

انها قصة ملك ضحى بالتاج .. فعاد الى وطنه على عرش القلوب .. انه عربى رفض التبعية فاضحى علما ورائدا من ابطال القومية العربية .. انه مكافح .. طلب الموت .. فكانت له الحياة فمرحبا بالكفاح العربى ..

ومرحبا بالتعاون والتضامن والاتحاد والوحدة العربية .

فؤاد مصطفى

الدار القومية للطباعة والنشر
شركة ذات مسئولية محدودة
٣٠ شارع منصور ـ القاهرة
ص . ب ٢٣٩٨

تاريخ المغرب
Storiamaroc

للمزيد من الكتب:

www.storiamaroc.com

Storia Maroc تاريخ المغرب

https://www.facebook.com/pages/Storia-Maroc-460853327358124/تاريخ-المغرب

@MarocStoria

https://twitter.com/MarocStoria

تاريخ المغرب
Storiamaroc